دور النساء الأوروبيات في الحملة الصليبية الثالثة بعد تحرير الأراضي المقدسة عام 1187م

The Role of European Women in The Third Crusade After The Liberation of The Holy Land

Dr. Jalal Husni Salameh
Associate Professor/ Al- Quds Open University/ Palestine
jsalameh@qou. edu

د. جلال حسني سلامة
أستاذ مشارك/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين

Received: 14/ 2/ 2019, **Accepted:** 27/ 5/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3385883
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

تاريخ الاستلام: 14/ 2/ 2019م، تاريخ القبول: 27/ 5/ 2019م.
E - ISSN: 2410 - 3349
P - ISSN: 2313 - 7592

الملخص

يعالج هذا البحث واحداً من الموضوعات التاريخية التي لم تنل اهتمام الباحثين والمؤرخين، وهو دور النساء الأوروبيات في الحملة الصليبية الثالثة، التي جاءت ردّا قاسيا على هزيمة الصليبيين الكبرى في معركة حطين 1187م، وما تبعها من نتائج وخيمة على كيانهم في الأرض المقدسة وانزعاج الغرب الأوروبي من هذه الهزيمة. ومما زاد الأمر صعوبة، هو أنّ المصادر التاريخية الأصيلة سواء العربية منها أو الغربية لم تتناول موضوع البحث بصورة وافية تشبع نهم الباحث ورغبته في التوصل إلى أقرب ما يكون إلى الحقيقة وتسوّغ المصادر والدراسات الغربية بخاصة أنّ هذا الغموض والتجاهل يعود إلى أنّ مشاركة المرأة الأوروبية في الحروب إلى جانب الرجال جنوداً وفرساناً «أمر مفروغ منه».

وقد حاول الباحث من خلال بعض الإشارات المتناثرة في المصادر التاريخية العربية والغربية المتوافرة تكوين صورة متكاملة– إلى حدّ ما– عن دور المرأة الأوروبية في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ الصليبيين في الأراضي المقدسة، وتضمنت الدراسة محاور عدة، المحور الأول دور النساء الصليبيات اللاّئي أطلق عليهنّ الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart القائد العام للحملة الصليبية الثالثة اسم " الفلسطينيات " في الدفاع عن مدينة صور– التي لجأ إليها الصليبيون بعد الهزيمة– في أثناء الطوق العسكري المشدد الذي فرضته القوات الإسلامية عليها، بانتظار وصول الإمدادات والحملة التي وعد بها قادة الغرب الأوروبي لإعادة مجد المملكة الصليبية. أما المحاور الأخرى فتناولت على التوالي الدور المعنوي والمادي الذي ساندت به المرأة الأوروبية في إعداد الحملة وتسييرها، وما اضطلعت به من مهمات بعد وصولها إلى مدينة عكا من نصب للخيام والمعسكرات في جهاتها البرية ومراقبة حركة الأساطيل الإسلامية في مياهها البحرية. ويأتي في مقدمة هذه المهمات الأعمال الأمنية والاستخبارية وجمع المعلومات المتعلقة بتراتيب الجانب الإسلامي.

ومن المهمات الأخرى التي أبلت المرأة الأوروبية فيها بلاء حسناً، هو إصرارها وعدم تخلّيها عن رغبتها التي خرجت من أجلها في مشاركة ومساندة المجموعات التي أعدت خصيصا للقتال البحري، ودورها في التصدي بشجاعة لمراكب المسلمين وسفنهم البحرية التي كانت تدعم القوات البرية بالمؤن والسلاح، وتعمّدها أن تمارس بلا رحمة ولا شفقة أشد ألوان التعذيب بحق من ظفر بهم الصليبيون من على متن هذه المراكب. أما المحور الأخير، فيتناول الأعمال البطولية التي خاضتها المرأة القادمة من بلاد أوروبا ميادين القتال البري، ليس كجندية أو مقاتلة عادية، وإنما واجهت خصمها وهي فارسة متخفية بزيّ الرجال ومتمطية صهوة جوادها، إلى درجة حظيت فيها بإعجاب ودهشة خصمها في الجانب الإسلامي عندما شاهدها وهي تواجه الفرسان من الرجال المتمرّسين في الحروب وتقاتل بكلّ قوة وشجاعة، لا تخشى الأسر والقيد أو أن تموت وتفارق الحياة في ساحة المعركة.

الكلمات المفتاحية: نساء صليبيات، المرأة الصليبية، صلاح الدين الأيوبي، ريتشارد قلب الأسد، فريدريك باربروسا، عكا، معركة حطين.

Abstract

This study sheds light on one of the most important subjects that has not been considered by researchers or historians. It is the role of European women in the third crusade as a result of the harsh defeat in Hattin battle in 1187 and its consequences on the crusade body in the Holy Land in addition to the disturbance it caused to the West.

The difficulty which encountered the research is that neither Arabic nor Western historical resources fulfill the researcher's ambition and desire to reach the truth. The Western resources justified this negligence or ambiguity to the fact that the participation of the European women in wars side by side with men is a fact.

The researcher tried along with few available historical resources either Arabic or Western to form a comprehensive picture about the role of the European women in that sensitive period of the crusades history and existence in the Holy Land. Accordingly, the research included several areas. The first one is about the role of the women fighters who have been named by the English king Richard the Lionheart "The Palestinians" for their defense of the Lebanese city "Tyre". This city which the Crusaders sought refuge in after the defeat and the strict Islamic closure over it, waiting for aids and reinforcement just to restore the glory to the crusades. The other area clarified the material and morale role of the European women who supported the campaign and their duties that comprised camping in landsides in Akko in addition to monitoring the fleets in the sea. The most important duties that the European woman carried out during the crusades is maintaining security, and gathering intelligence information about the Islamic side.

Determination and desire to support the crusade soldiers were the main motives for women, as their duties lied in courageously supporting the groups prepared for sea battles against Muslims' ships providing them with weapons and supplies, in addition to torturing the Muslims prisoners of war.

The final area is about the heroic actions and courage that the woman from Europe had in the land battlefields not only as a soldier, but also as an undercover knight on horse. This heroic action astonished the Islamic side when considering the woman knight fighting hard with courage without fearing death or capture.

***Keywords**: European, Women, Hattin Battle, Richard the Lion Heart, Woman Knight, Soldier.*

دور النساء الأوروبيات في الحملة الصليبية الثالثة

دور المرأة الأوروبية في الحملة الصليبية الأولى لمحة موجزة ـ

لم يكد البابا أربان الثاني Urban II [1] يفرغ من إلقاء خطابه الشهير 1095م في مؤتمر كليرمونت Clermont– جنوب فرنسا– أمام حشد كبير من الحضور– والذي دعا فيه وبكل وضوح وعلانية إلى الاستيلاء على الأراضي المقدسة بعامة والمدينة المقدسة بخاصة حتى تداعى كثير من المتحمسين بترجمة أقواله إلى أفعال بالتبشير لهذه الدعوة في أنحاء مختلفة من بلدان الغرب الأوروبي، وأن تستعد الجيوش جنودا وفرسانا من أجل تحقيق هذه الرغبة بعد أخذ التراتيب اللازمة [2]، وفي الوقت ذاته لم تتخلف المرأة الأوروبية هي الأخرى عن مثل هذه المشاركة، فأعلنت عن نيتها في أن تكون عنصراً فاعلا في تنفيذ هذا المشروع الاستعماري [3] .

وعلى الرغم من أن المصادر الغربية والمصادر العربية المتوافرة لم تفصح عن الدور العسكري الذي اضطلعت به نساء الغرب الأوروبي في الحملة الصليبية الأولى قدر الإشارات المتناثرة هنا وهناك عن قيامها بأعباء اجتماعية تمثلت بصورة أساسية في تقديم الخدمات والرعاية الصحية للجموع الغفيرة من الصليبيين المشاركة في هذه الحملة والتي تقدرها بعض المصادر بحوالي 8800 فارس و 818000 من المشاة [4]، عدا عن دورها الكبير في تقديم خدمات أخرى يصعب فيها على الرجال إنجازها بسهولة، كالإسعافات الأولية للجرحى من الجنود والفرسان في حال اندلاع حروب أو تعرضهم لخطر الهجمات المفاجئة من الأطراف المعادية لهم، بالإضافة إلى التزامها في إعداد وجبات الطعام وجلب مياه الشرب لجموع الصليبيين المتجهة نحو المشرق الإسلامي [5] .

ومما يدعو إلى التساؤل هنا، لماذا جاء دور النساء الأوروبيات عسكريا سواء في الحملة الصليبية الأولى أو الحملة الصليبية الثالثة– موضوع البحث– مبهما وغير واضح إلى حد ما؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن القول إنّ هذا الغموض يعزى إلى عوامل ومسوغات عدة، يأتي في مقدمتها أن المؤرخين الغربيين وبخاصة المعاصرين منهم للحملتين اعتادوا على عدم تناول نشاط النساء في صفوف الجيوش الصليبية، اعتقادا منهم أن مشاركتها في ميادين وساحات الحروب أمر " مفروغ منه لا يخضع للجدال أو النقاش. " [6]

وفي الوقت الذي أشارت فيه بعض المصادر العربية إلى الدور العسكري الذي خاضته بعض النساء الصليبيات في الحملة الصليبية الثالثة– كما سنرى– فإن هذه المصادر كذلك هي الأخرى أغفلت مشاركتها في الحملة الصليبية الأولى، ولعل ذلك يعود إلى حرص وانشغال مؤلفيها الشديد الذين انكبّوا على إبراز ما حلّ بالعالم الإسلامي من تشرذم وانحلال، وانقسامه بين خلافة عباسية سنية في بلاد الرافدين وخلافة فاطمية شيعية في الديار المصرية [7]، فضلا عن جهلهم وعدم معرفتهم بطبائع المرأة الأوروبية وعاداتها في عدم تحرّجها من أن ترتدي زيّ الجنود والفرسان، ومساندتها لهم في ساحات المعركة والعمليات العسكرية [8] .

ظهر موقف المرأة هذا بصورة جلية، في أثناء الحصار الذي ضربته القوات الصليبية حول أسوار المدينة المقدسة يوم الخامس عشر من رجب 492هـ/ السابع عشر من يونيو (حزيران) 1099م، إذ دفعت الحماسة ببعض النساء الأوروبيات إلى حمل السلاح ومشاركة أبناء جلدتهن في التصدي لأفراد المقاومة الإسلامية [9]، وإلى جانب ذلك، ساهمت تلك النساء في نصب الأبراج وترتيبها لتشديد الحصار على سكان المدينة وإجبارهم على الاستسلام [10]، ووصف المؤرخ الصليبي وليم الصوري William of Tyre التزام المرأة الصليبية في هذه اللحظة التاريخية الحرجة بقوله: "واجترأت النسوة بصرف النظر عن جنسهن على حمل السلاح، وحاربن بشجاعة تفوق طاقاتهن" [11] . ولعلّ هذه الشجاعة تعبر عن الرغبة الحميمة عند كثير من النساء الأوروبيات في مساندة الحملة الصليبية الأولى التي اجتازت آلاف الأميال من أجل تحقيق رغبة البابوية والغرب الأوروبي في الاستيلاء على المدينة المقدسة وفرض السيادة الصليبية عليها.

دور المرأة الأوروبية بعد الاستيلاء على الأراضي المقدسة

في السنوات الأولى من الاستيلاء على مدينة بيت المقدس وولادة كيان صليبي جديد فوق تراب الأراضي المقدسة، ظهرت أمام الصليبيين تحديات وظروف استثنائية عصيبة لم يكن من السهولة التغلب عليها أو تذليلها، وهي الظروف التي لا بدّ وأنها أملت على المرأة الأوروبية إلى جانب الجنود والفرسان أن تواصل حمل السلاح وأن تكون على أهبة الاستعداد للمواجهة من أجل صيانة ما تحقق من إنجاز. ويأتي على رأس هذه التحديات أن الدويلة الصليبية الوليدة ظلت لفترة طويلة من الزمن هدفا لضربات المقاومة «الفدائية» التي وصفتها بعض المصادر الأوروبية المتوافرة بقولها: « ليس هناك بلاء أشد بلاء بالمرء. . . من عدو يكون له بالمرصاد على الأبواب» [12] على الرغم من الهزيمة النكراء التي لحقت بالجيوش الإسلامية. فانتصارات الصليبيين المتتالية لم تحل دون أن يتمكن بعض الأفراد في الجانب الإسلامي من تشكيل مجموعات فدائية تتمركز في الكهوف ورؤوس الجبال، وبخاصة تلك المواقع التي أتاحت لهم رصد تحركات الصليبيين جنودا ومدنيين ثم تنفيذ خططهم التي غالبا ما ضمنت لهم نجاح أسرهم جميعا أو بعضا منهم أو أن يكبدونهم خسائر في الأرواح ومصادرة ما لديهم من أسلحة [13]، وواصل "الفدائيون" تكرار مثل هذه الحوادث، ما جعل الصليبيين يأخذون حذرهم الشديد في تنقلاتهم وتحركاتهم غير الآمنة [14] في أراض اغتصبت من أيدي أصحابها بقوة السيف وسفك الدماء التي لا زالت تحتفظ بها الذاكرة التاريخية.

ففي هذا الشأن، يصف أحد المؤرخين حالة اضطراب الأمن وانعدام الهدوء الذي ساد البلاد التي خضعت للسيادة الصليبية بالقول: ". . . ولم يكن ثمّ مسيحي؛ أي الصليبيين القادمين من الغرب الأوروبي، يسير في الطريق العام دون أن يأخذ حذره الشديد، وإلاّ لقي الهلاك على أيدي الشرقيين؛ أي المجموعات الفدائية التي نذرت نفسها للدفاع عن الأرض المقدسة، أو وقع في أيد تسلّم للأعداء فيسترقّونه" [15] ؛ أي يصبح عبدا في خدمة آسريه . ولكن على الرغم من سيطرة ظاهرة الرعب والخوف في نفوس الصليبيين وانعدام الأمن الذي هدد حياتهم، فقد بذل الحريصون منهم على ما تحقق من إنجاز بالتقليل من شأن هذا التوتر وطمأنتهم بأنه سيزول مع الزمن، إذ بدأوا يشيعون بين القادمين الجدد حالة الضعف والانحلال السياسي والديني التي كانت تعصف بالعالم الإسلامي [16]، ومما يؤكد هذه النظرة ما صدر عن المؤرخ الصليبي

المعاصر للأحداث الأولى فوشيه الشارتري Fulcher de Charters قوله: "لماذا خشيت كل هذه الأمم وهذه الممالك الهجوم على مملكة صغيرة وشعب متواضع؟ لماذا لم يجمعوا من مصر ومن فارس ومن بلاد ما بين النهرين ومن سورية مئة الف مقاتل، ليزحفوا بشجاعة علينا ونحن أعداؤهم، لماذا لم يدمرونا. . . فيمحى ذكرنا عن وجه الأرض؟ " [17].

لقد درجت العادة في كل المراحل التاريخية أن يسعى قادة وزعماء مستوطني الأرض التي لا يملكونها بعد انتزاعها من أيدي أصحابها بكل أساليب القوة والعنف، إلى طمأنة مواطنيهم بالعمل الجاد والصادق لإزالة كل أسباب المخاطر الديمغرافية والأمنية التي تحدق بالدولة وتهدد وجودهم، وهنا لا بدّ من مشاركة كل أطياف المجتمع رجالا وشبابا ونساء في حمل السلاح صونا للدماء والخسائر المالية والمادية الجسيمة التي تكبدها الغرب الأوروبي [18]، وأن لا يدخروا جهدا سعيا وراء ترسيخ دعائم الأمن على كامل التراب الذي وقع تحت السيادة الصليبية.

ويعتقد الباحث أن الغرب الأوروبي لم يكن متوقعا أن المشكلة الديمغرافية ستكون بدايتها في المدينة المقدسة مهوى أفئدتهم كما اتضح ذلك في خطاب البابا أربان الثاني Urban II 1095 م في مؤتمر كليرمونت Clermont، فما أن وقعت هذه المدينة تحت السيادة الصليبية حتى سارعت أعداد كبيرة فرسانا وجنودا ومدنيين إلى مغادرتها ليقيموا في المدن الساحلية، وفي مقدمتها مدينتا عكا [19] وحيفا [20]، أو أن يؤثر كثير منهم العودة إلى مسقط رأسه في أوروبا [21]، بعد أن رأى أنه التزم إلى أبعد حد بأداء واجبه الديني والقومي وتحقيق رغبة البابوية؛ إذ إنّ رحيل نسبة كبيرة من الصليبيين عن المدينة تسبب إلى حدّ بعيد في تفاقم الخلخلة السكانية فيها إلى درجة جعلت المؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري Fulcher de Chartres يحذّر من خطورة نقص السكان في المدينة المقدسة بقوله: " بقيت أرض بيت المقدس فقيرة بالسكان، ولم يكن هناك من الناس ما يكفي للدفاع عنها ضد المسلمين إذا فكّروا في الهجوم علينا " [22].

ويبدو أنّ ملوك الصلبيين– على الرغم من كل الجهود التي بذلت– لم يتمكنوا من إيجاد حلّ جذري لهذه المشكلة التي عبّر عنها المؤرخ المتأخر وليم الصوري William of Tyre [23]، إذ نجده يبعث برسائل تتضمن تحذيرا من خطورة نقص السكان على مستقبل القدس (العاصمة) فيما لو بقيت دون حل، حيثيقول: "وكان سكان قطرنا قليلي العدد قلة ملحوظة، . . . إذ إنهم كانوا أقل من أن يشغلوا شارعا من شوارعها" [24] . ومن بين الأسباب الأخرى التي لا بدّ وأنها حتّمت على المرأة الصليبية دخول معترك الحياة العسكرية والوقوف إلى جانب الرجال في حمل السلاح هو حرصها الشديد على صون الإنجازات التي تحققت للصليبيين ريثما تصل إمدادات عسكرية جديدة من الغرب الأوروبي [25].

ويخلص الباحث إلى القول أن تحقيق نبوءة البابا أربان الثاني Urban II بتحرير مدينة القبر المقدس– على حد زعمه– والتنعم بخيرات الأرض المقدسة سواء الزراعية منها أم التجارية، هو ما دفع بحماسة المرأة الصليبية ليكون لها بصماتها في العمليات العسكرية الهادفة في النهاية إلى استكمال المشروع الصليبي فضلا عن مساهمتها الفاعلة في الميدان الاقتصادي. وبدأ دور المرأة هذا آخذا في التطور والاستمرارية على خلفية الأحداث الخطيرة التي شهدتها المملكة الصليبية في أواخر عهدها واشتداد عود المقاومة الإسلامية وصلابتها.

ففي غمرة هذه الأحداث وبعد (88) ثمان وثمانين عاما من الاستيطان الصليبي، وجد زعماء المملكة الصليبية وكبار قادتها أنهم أمام واقع سياسي وعسكري مرير يحتّم عليهم وضع التراتيب التي يستوجب اتخاذها، ابتداء بحشد الجيوش واستدعاء كل من هو قادر على حمل السلاح استعدادا للمواجهة، وصيانة إنجازات أسلافهم على الأصعدة كافة، سواء التجارية منها أم الزراعية أم الصناعية، وحتى على الصعيد الأمني الذي عانى الصليبيون مدنيون وعسكريون من غيابه، وخشيتهم من الحركة والسفر بين المدن والقرى، وبخاصة في السنوات الأولى من عمر المملكة الصليبية. كل هذه الإجراءات من حشد للجيوش والعساكر وبناء القوة العسكرية اللازمة، زاد من مسؤوليات المرأة الأوروبية وواجباتها في إدارة أعمال زوجها أو ابنها أو أي من ذويها من كان على صلة قربى منها. فما أن تحركت الحملة الصليبية الثالثة عام 1189م باتجاه المشرق الإسلامي [26] حتى تسلمت المرأة الأوروبية زمام المعاملات التجارية والإشراف على شؤون الأعمال الزراعية والمعامل الصناعية، كصناعة الأحذية والصياغة وأفران الخبز، عدا عن المساهمة في صناعة الأسلحة التي كانت تستخدم في تلك الفترة التاريخية [27].

وعلى ضوء هذا، يمكن للباحث أن يتنبأ بأن المرأة الأوروبية في الأرض المقدسة هي الأخرى قد تحملت جزءا كبيرا من المسؤولية بأشكالها كافة، العسكرية منها والتجارية والاجتماعية، وما إلى ذلك من مسؤوليات ومتاعب في خضم الأحداث المتسارعة، من توترات سياسية داخلية وأخطار خارجية شهدتها المملكة الصليبية انعكست بالتالي على وحدة وقوة مؤسساتها السياسية والإدارية، فشكّل ضعفها وازدياد الصراعات الصليبية مقدمة حقيقية لانكماشها ونهاية وجودها.

دور المرأة الأوروبية بعد تحرير الأراضي المقدسة وحصار مدينة صور اللبنانية

وصف كثير من المؤرخين معركة حطين 1187م بأنها كارثة كبيرة حلت بجموع الجيوش الصليبية التي زحفت من أنحاء مختلفة من الغرب الأوروبي، عدا عن القوات التي كانت تتواجد أصلا في الأراضي المقدسة وتتولى واجب الدفاع عنها [28]، ولا بدّ أن خسارة الصليبيين في هذه المعركة التي فقدوا فيها أعدادا لا تحصى من خيرة فرسانهم وجنودهم كانت بمثابة ضربة موجعة لم تمرّ بهم أشد إيلاما منها، إذ نجد أن النساء الأوروبيات كن أكثر شرائح المجتمع الصليبي تضررا بفقدانهنّ لأعز أقربائهن، سواء أزواجهن أو أبنائهن أو إخوانهن أو أي من أبناء جلدتهن، ذلك الحدث الأليم الذي ولّد في أعماق نفوسهن ظاهرة التشفي والانتقام، فاندفعت هؤلاء النساء بحماسة شديدة إلى حمل السلاح والمشاركة في العمليات العسكرية، وأن تهب كل واحدة منها حياتها فداء للأسرى الذين وقعوا في قبضة القوات الإسلامية وفداء للدماء الغزيرة التي سالت في ساحة معركة حطين الفاصلة [29].

وفي أول ردّ عنيف شديد اللهجة، وصف الصليبيون الهزيمة

النكراء التي حلت بخيرة جيوشهم في معركة حطين بقولهم: "والآن قد دنّست الأرض الطاهرة التي فوّض إلينا الرب الأزلي الحكم فيها.. . مما يفرض على مكانتنا... أن نوليها ما يستلزم منا الجرأة الوقحة ورد التعدي الذي يستجلب اللوم، ولن نشنّها إلاّ حربا... وإرجاع كل ما اغتصبوه من أهله إلى أهله... " [30] . ولعل هذا الرد الغاضب يعبر عن حجم المأساة الأليمة التي أصابت سكان المملكة الصليبية رجالا ونساء والتي ذكرها جوشيوس Joshus رئيس أساقفة صور "بالطامة الكبرى" [31] . ففي شأن المرأة الأوروبية والوضع المرير الذي كان يهدد وحدة أسرتها، يعلق المؤرخ أبو شامة على ذلك بقوله: "وكم قد سبي من النساء والأطفال، يباع الرجل وزوجته وأولاده في المناداة بيعة واحدة... " [32]، مما يعني أن الصليبيين أصبحوا عاجزين عن توفير الحد الأدنى من الأمن والأمان للنساء الصليبيات وأطفالهن، أو الحيلولة قدر استطاعتهم دون وقوعهن أسيرات في أيدي الجانب الإسلامي.

أمام انتصارات السلطان صلاح الدين الأيوبي المتتالية وتهاوي المدن بأيدي جيوشه المقاتلة بتشكيلاتها كافة، وجدت أعداد لا بأس بها من الصليبيين مقاتلين ومدنيين خيارهم في اللجوء إلى مدينة صور اللبنانية [33] دون غيرها من المدن على الرغم من قربها من الأراضي التي كانت تجري فيها معارك الصراع على النفوذ للنجاة من المحنة القاسية التي حلت بالمملكة الصليبية، تلك المدينة التي عجزت الجيوش الإسلامية بما توافر لديها من سفن بحرية وأدوات حصار عن استردادها وبسط سيادتهم عليها مرتين: الأولى في يوليو (تموز) 1187م والثانية في نوفمبر (تشرين ثاني) من ذات العام [34] . ويعزو بعض المؤرخين هذا الفشل– الذي لم يتوقعه غالبية القادة المسلمين الذين أطاحوا بعرش المملكة الصليبية– إلى عامل الحصانة الطبيعية التي امتازت بها هذه المدينة.

فالمؤرخ الرهاوي المجهول يصف في كتابه حصانة مدينة صور بأنها " قابعة في قلب البحر " [35]، في حين يقول الرحالة ناصر خسرو الذي عرّج على المدينة 1047 م بأنها بنيت على صخرة امتدت إلى الماء، بحيث أن الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد عن مائة ذراع والباقي في ماء البحر، والقلعة مبنية بالحجر المنحوت الذي سدت فجواته حتى لا يدخل الماء من خلالها [36] .

ويضيف بعض المؤرخين إلى أسباب صمود مدينة صور وتحديها وصول الماركيز كونراد دي مونتيفرات [37] Conrad de Montferat إلى ميناء المدينة على رأس سفينة تحمل على متنها– كما يبدو– أعدادا لا بأس بها من الفرسان والمقاتلين ذوي الخبرة في فنون الحرب والعمليات العسكرية لمساندة الصليبيين في حربهم مع السلطان صلاح الدين الأيوبي وقواته [38]، إلا أن وصول هذه السفينة جاء بعد عشرة أيام من معركة حطين الفاصلة، مما اضطره مع من لجأ إلى مدينة صور إلى وضع خطة عسكرية سريعة تستند بالدرجة الأولى إلى محاولة لملمة صفوف المقاومة وبذل أقصى درجات القوة لإفشال الحصار الذي فرضته القوات الإسلامية [39] لإجبار سكان المدينة على الاستسلام والعودة إلى أوطانهم في الغرب الأوروبي التي وفدوا منها مستعمرين ومتعطشين لسفك الدماء في بلاد المشرق الإسلامي وفي مقدمتها الأراضي المقدسة.

وترى بعض المصادر والدراسات التاريخية المتوافرة أن نجاح خطة الصليبيين في تقهقر القوات الإسلامية وتراجعها عن مواصلة حصار صور لم يقف عند حصانة المدينة الطبيعية ومناعتها فحسب، بل يعود إلى أن هذه القوات بعد معركة حطين التاريخية سرعان ما أخذت تعاني من ضعف في المعنويات القتالية، وتحريض كبار العساكر للمقاتلين بالتمرد والامتناع عن القتال بعد سنين طويلة من الصمود والتحدي انتهى بالإطاحة بالكيان الصليبي وزعزعة أركانه [40] .

إن مثل هذه العوامل والمسوغات التي وردت في بعض المصادر التاريخية المتوافرة والدراسات المحدثة لا تغني عن البحث في أسباب أخرى كانت وراء انسحاب السلطان صلاح الدين الأيوبي وتراجعه عن قراره في إخضاع مدينة صور كغيرها من المدن التي دانت له، فالحديث عن شدة تحصينات المدينة وعظمة قلاعها، لا يقلل من شأنها في أن تكون سببا ذو أهمية بالغة في هذا الانسحاب الذي أعقب الانتصار المؤزر في معركة حطين التاريخية، وفي الوقت الذي أعلنت فيه بعض المجموعات الإسلامية تمردها وعصيانها عن مواصلة القتال، فإن أعدادا كبيرة من المقاتلين والتي لا زالت تشعر بنشوة الانتصار لا بدّ أنها كانت ترى أنه ليس من المصلحة العامة أن تتخاذل في هذه اللحظة العصيبة والمصيرية، بل ينبغي عليها أن تبقى تحت قيادة السلطان الأيوبي وإمرته في تشديد الخناق على الصليبيين الذين لجأوا إلى مدينة صور، والذين لم يستفيقوا بعد من هول صدمة الهزيمة التي حلت بجيوش جرّارة زحفت من بلدان مختلفة من الغرب الأوروبي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن القوات العسكرية التي صاحبت الماركيز كونراد دي مونتيفرات Conrad de Montferat بعددها وعتادها لا يمكن أن تضاهي بقوتها قوة الجيوش الإسلامية وتنوع عتادها.

وأمام هذه المعطيات يرى الباحث أن هناك ضغوطا أخرى توصف بشدة خطورتها غضّ مؤلفو المصادر التاريخية العربية المتوافرة والباحثون المحدثون الطرف عنها، تلك الضغوط التي تعرضت لها القوات الإسلامية في أثناء حصارها لمدينة صور وتشديد الطوق على اللاجئين الصليبيين المتواجدين فيها، والذين كانت غالبيتهم رجالا ونساء قد آمنوا بفكرة أنه "لم يعد لديهم ما يخسرونه" بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة واللجوء والمبيت في العراء، فمالوا إلى ابتكار واعتماد وسائل جديدة في المقاومة والتحدي قدر الاستطاعة وهي الحرب الخاطفة [41] التي تعرف اليوم بـ " حرب العصابات "، ألحقوا من خلالها خسائر فادحة في أرواح ومعدات القوات الإسلامية، ولعلها الأشد خطورة تلك الهجمات المفاجئة على سفن الأسطول الإسلامي الذي تألف من حوالي (1000) ألف سفينة وكانت ترابط أمام سواحل مدينة صور، مما دفع بالسلطان صلاح الدين الأيوبي على وجه السرعة إلى أن يصدر تعليماته للجموع المحاصرة– التي لم يتوقعها معظم الذين واكبوا انتصاراته– بأخذ كل الإجراءات اللازمة من أجل رفع هذا الحصار. وعلى الرغم من أن المصادر المتوافرة لم تشر صراحة إلى الدور الفعلي للنساء الأوروبيات في إجبار السلطان صلاح الدين وقواته على الانسحاب، إلاّ أن ما يسعف الباحث في هذا الاعتقاد ما ورد من إشارات عن الدور العسكري الذي أدته كثير منهن في أثناء تشديد حصار الجيوش الصليبية 1189م لمدينة عكا– كما سنرى– في الحملة الصليبية الثالثة.

دور المرأة الأوروبية المعنوي في الحملة الصليبية الثالثة

منذ أن بدأ أباطرة الغرب الأوروبي وعلى رأسهم الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart دعوتهم لأبناء شعوبهم بالمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة، سجلت المرأة الأوروبية دورا فاعلا في دعم وتمويل هذه الحملة معنويا وماديا، إسهاما منها في التخفيف من آثار الهزيمة التي لحقت بإخوانها وحلفائها وما ترتب عليها من إطاحة بعرش المملكة الصليبية وخسائر جسيمة في الأرواح والأملاك التي استباحوها من أصحابها الشرعيين في الحملة الصليبية الأولى والتي عجزت المصادر التاريخية والدراسات المحدثة عن تقدير تلك الثروات والأملاك .

ففي الجانب المعنوي أخذت المرأة في الغرب الأوروبي تشد من أزر أبنائها وإخوانها وكل من يمتّ لها بصلة القرابة وتحثهم على المشاركة في هذه الحملة، بل يرى الباحث أنّ هناك حالات لم تتورع فيها بعض الأمهات والفرح والسرور يبدو على وجوهن من أن يغرين أبناءهن على المشاركة بهذه الرحلة العسكرية، وأبعد من كل هذا وذاك نرى أن كثيرا من النساء واللاتي وصفت بـ " العرائس " ولم يمض على زواجهن بضعة أشهر أو بضع سنوات لم يدخرن هنّ كذلك جهدا في أن يقنعن أزواجهن بحماسة شديدة وطيب خاطر في أن يساهموا بما أوتوا من قوة لاستعادة هيبة الغرب الأوروبي ومقدراته في المشرق الإسلامي [42]، وبخاصة بعد نداء الاستغاثة الذي جاء على لسان الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Ricahard the Lion Heart يدعو فيه جموع الصليبيين رجالا ونساء إلى شد الرحال وعدم التراخي في دعم الحملة الصليبية، وأنّ كل من يشارك في الحملة الصليبية " سترتفع مكانته ومنزلته، وأنها سفرة جليلة "؛ لأنها تقصد البقعة التي شهدت ميلاد السيد المسيح، عليه السلام، فلا بدّ من انتزاعها من أيدي " الوثنيين" [43] ؛ أي المسلمين الذين احتلوا الأراضي المقدسة على حد زعمه ـ.

ويعزو بعض المؤرخين إلى أن إلحاح النساء الأوروبيات هذا يعود إلى الحزن الشديد الذي كان ينتابهن لعدم قدرتهن على المشاركة إلى جانب أقاربهن وأزواجهن، بسبب ضعف قدرتهن الجسمانية في تحمل طول السفر ومشقاته [44]، عدا عن خشيتهن من مخاطر المواجهات القتالية. وفي موضع آخر، يعزى اعتذار بعض النساء عن المشاركة في هذه الحملة التي أقرها الغرب الأوروبي إلى التوكيل الذي تطلّب إدارة المصالح الزراعية والتجارية لأبنائهن وأزواجهن وغيرهم من الأقارب، إلى جانب العامل الأكثر أهمية، وهو العناية بتربية أطفالهم الصغار طيلة فترة غيابهم وانشغالهم بالمواجهات العسكرية مع القوات الإسلامية [45] .

لم يقف دور المرأة الأوروبية عند التعبئة المعنوية فحسب، وإنما شمل أيضا تقديمها دعما ماديا ليس بالقليل، إسهاما منها في تمويل الأعداد الكبيرة من الجيوش الصليبية التي أخذت تستعد لمغادرة الأراضي الأوروبية باتجاه الأراضي المقدسة [46]، ومما يدعم هذا الرأي أنّ كثيرا من النساء في أوروبا قد عملن إلى جانب أزواجهن في عمليات البيع والشراء، بل إنّ بعضهنّ كنّ يملكن مشاريع تجارية وصناعية خاصة، سواء في صناعة النسيج أو امتلاك محلات بيع الأطعمة والأشربة والخمور، وغيرها من الأعمال والحرف التي تدرّ الأموال الوفيرة [47]، فما أن وصلت أنباء هزيمة الصليبيين في معركة حطين 1187م إلى شعوب الغرب الأوروبي حتى سارعت بعض النساء إلى تلبية نداءات القادة الصليبيين لتسيير الحملة.

ومن الأمثلة البارزة على مثل هذه المشاركة من جانب المرأة الأوروبية، ما تناولته بعض المصادر الغربية المتوافرة عن الملكة جوانا Joana ملكة صقلية [48] وأخت الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart عن تنازلها– وإن لم يكن بمحض إرادتها بل بضغط من أخيها– عن جزء كبير من ثرواتها المادية وبيع أملاكها، فضلا عن إصرارها في أن تلتحق بنفسها في صفوف القوات الصليبية [49] . وحقيقة الأمر، لم تكن جوانا Joana هي الوحيدة بين النساء الأوروبيات النبيلات التي جادت بأملاكها خدمة للأهداف التي خرجت من أجلها الحملة الصليبية الثالثة، فقد ورد في بعض المصادر المتوافرة أن الملك الإنجليزي ريتشارد Richard قد تفاجأ أن والدته أليانور Alianor لم تخف هي الأخرى رغبتها في أن تشارك ابنها الحملة، وبصحبتها فتاة نبيلة هي ابنة ملك نافارا [50] Navara وتدعى برنجاريا Berengaria التي أرادتها زوجة له [51] .

وعلى الرغم من أن المصادر المتوافرة الغربية منها والشرقية لا تشير بما فيه الكفاية إلى دور النساء النبيلات في تمويل ودعم الحملة الصليبية الثالثة، إلاّ أن الباحث يرى أن ما توافر من معلومات عن مثل هذه المشاركة قد شكّل قدوة مثالية وحافزا قويا للنساء الأوروبيات من الطبقة العامة حتى بعض اللاتي لا يملكن زيادة عن قوت عيشهن، ففي أثناء التحقيق مع الأسرى الذين وقعوا في قبضة الجيش الإسلامي في أحد الاشتباكات حول مدينة عكا جاء اعتراف أحدهم بأنّ والدته التي هو وحيدها، لم تجد ما تقدمه للحملة الصليبية سوى أن تعلن عن بيع منزلها الذي يأويها [52] . ويعتقد أنّ كثيرا من النساء قد حذون حذوها، إلى درجة لم يعد باستطاعة السفن المتوافرة من أن تحمل الجموع الغفيرة التي أخذت استعداداتها كافة ووصلت إلى موانئ بحار إنجلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها [53] وغالبيتها العظمى من زهرات شباب وفتيات أوروبا، وبخاصة القوات التي كانت تحت إمرة الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا Frideric Barbarossa ، ويرددون شعارهم الذي يعتزون به " المجد لنا والهلاك لعدوّنا " [54] وأنها أي جموع الصليبيين " تكنّ حبّها للسيد المسيح وتسعى إلى المجد والتقوى " [55] على حد زعم بعض مؤرخي الحملات الصليبية.

الدور الأمني (الاستخباراتي) للنساء الأوروبيات:

لقد سجلت النساء الأوروبيات في الحملة الصليبية الثالثة حضورا واضحا وجليا حين أصرت أعداد كبيرة منهنّ على أن يكنّ جزءا فاعلا وصانع قرار في ميادين المعركة العسكرية التي عزم أباطرة الغرب الأوروبي تسييرها إلى الأراضي المقدسة بعد أن أتمّوا استعداداتهم كافة، في محاولة منهم لإحياء مجد المملكة الصليبية واستعادة هيبة الغرب الأوروبي ونفوذه. وكما هي العادة، فقد تكتّمت المصادر الغربية المتوافرة ولم تفصح عن أعداد النساء الأوروبيات اللاتي وفدن مع الحملة الصليبية الثالثة، في حين أشارت بعض المصادر العربية المتوافرة ما نصّه: « وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة فرنجية مستحسنة، متحلّية بشبابها وحسنها متزينة. . .، وانتدبن واغتربن لإسعاف الغرباء. . .، فوصلن وقد سلبن

أنفسهن. . .، وأنهنّ لا يمتنعن عن العزبان. . .، واستدعين النصول منهنّ إلى الأغماد. . . وجمعن قرون كباش النطاح في الشباك. . .، وأطلعن الأشرار على الأسرار. . .، فمنه من رضي للذة بالذلّة « [56] .

وعلى الرغم من أنّ مؤلفي هذه المصادر لم يشيروا من قريب أو بعيد إلى المصادر التي استقوا منها مثل هذه المعلومات شديدة الحساسية، إلاّ أنّ الباحث يرجح أنّ مصدرها قد يعود إلى بعض عيون المسلمين التي كانت تجوب بعض المعسكرات الصليبية كباعة متجولين أو عمال يعملون في خدمة الصليبيين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وحينما تتحدث هذه المصادر عن أعداد النساء الكبيرة في مركب واحد، فهذا يعني أنّ المراكب والسفن الضخمة لا بدّ وأنها حملت على متنها مجموعات هائلة من النساء، يفوق تلك التي وردت في المصادر آنفة الذكر، مما يجعل الباحث يرجح أن هؤلاء النساء ليس مهمتهن الترفيه عن الفرسان والجنود الصليبيين فحسب، بل أسندت إليهنّ مهمات أمنية (استخباراتية) وعسكرية. فما ورد من حديث عن النساء الجميلات وما يتمتعن به من زينة لم يكن بقصد الترفيه بقدر ما هو تغطية للهدف الذي كان يرمي إليه الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart وغيره من زعماء وقادة الحملة الصليبية الثالثة– وكما يفهم من النص الذي ورد سابقا– نرى أنه يحمل في طياته تحذيرا من خطر تسخير النساء اللاتي يمتلكن الحنكة والخبرة وما إلى ذلك من أساليب إغواء وإغراء بأن يعملن كجهاز استخباراتي وأداة بثّ للفتنة وإحباط معنويات ضعاف النفوس في الجانب الإسلامي أو محاولة إسقاطهم ثم إجبارهم على أن يكونوا عيونا في خدمة الصليبيين وجمع معلومات دقيقة تساعدهم في الكشف عن أسرار خطيرة وشديدة الحساسية تتعلق بخطط المسلمين الحربية واستعداداتهم العسكرية.

ومن الإشارات الأخرى التي تشير إلى براعة الملك الإنجليزي ريتشارد Richard في حثّ النساء الأوروبيات على مساعدة الصليبيين في الأمور الأمنية والاستخباراتية أملا في تسريع تحقيق الأهداف التي من أجلها خرجت الحملة الصليبية الثالثة، حين بعث برسائل إلى النساء الصليبيات اللاتي ولدن في الأراضي المقدسة ودعاهنّ بـ " الفلسطينيات " يعرض عليهنّ فيها إغراءات مالية كبيرة، ولضمان قبولهنّ بهذا العرض، أخذ بتذكيرهن بهول النكبة التي اهتز لها العالم الغربي، وما حلّ بهنّ من طرد من منازلهن وانتزاع ما حققنه من أملاك وثروات طيلة إقامتهن في الأراضي المقدسة [57] . وزيادة في كسب تعاطف النساء وخدماتهن، عمد الملك الإنجليزي ريتشارد Richard– كما يبدو– إلى تشجيعهن للعمل في حقل التجارة في أثناء الحصار الصليبي الذي فرض حول مدينة عكا [58]، ليس بهدف جمع ثروة المال فحسب، بل كان يدرك هذا الملك أنّ اختلاطهن بالتجار المسلمين وعامة الناس منهم قد يحدث نوعا من الاختراق الأمني في صفوف القوات الإسلامية المرابطة في مواجهة القوات الصليبية، إلى حدّ جعل أحد المؤرخين يصف شجاعة هؤلاء النساء بقدرتهنّ الفائقة على تشكيلهنّ مصدر جزع ورعب، مما دفع الطرف الإسلامي إلى تكليف خلية أعدت خصيصا لأسر كل امرأة اشتبه بقيامها بأعمال تجسسية ونقل أخبار أمنية خطيرة لصالح الجانب الصليبي [59] .

إنّ معرفة النساء الصليبيات وخبرتهنّ في مجال التجسس هو ما دفع بعض القادة في الجانب الإسلامي إلى التفكير بمنازعة الجانب الصليبي في هذا الشأن، ولا شك أنّ هذا العمل قد تطلّب من بعض القادة المسلمين إلى بذل أقصى جهد والتفكير بجديّة في استمالة النساء الأوروبيات للعمل في خدمة تراتيب الأمن الإسلامي واستخباراته، واستندت هذه الخطة إلى تأمين الحماية لكل امرأة أوروبية طالما استمرت تعمل بسرية تامة في نقل أخبار الصليبيين الأمنية وخططهم العسكرية، بل فاقت إغراءاتهم– كما يبدو– إغراءات الملك الصليبي ريتشارد Richard، فالملك العادل [60] – أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي– الذي عرف عنه الحنكة السياسية والدهاء لم يتردد في أن يرصد مبلغا كبيرا من المال يفوق ما رصدته الجهات الصليبية لتنفيذ هذه الرغبة، وفي ذلك يقول ابن سعيد المغربي عن الملك العادل في أثناء حصار عكا: " وكان يصوغ الحلي لنساء الفرنج ويوجهه في الخفية إليهنّ حتى يمسكن أزواجهنّ عن الحركة. . . وكانت النساء الصليبيات وقتئذ كثيرات الإعجاب بمصنوعات دمشق من الحليّ والجواهر وثياب الوشي والديباج والمقانع الحريرية، وأصناف الطيب. . . فلا عجب إذا كان بعضهنّ لا يملكن أنفسهنّ من التشوق إلى إحراز شيء منها " [61] .

ويفهم من هذا القول أن هناك من النساء الأوروبيات من رضين أن يسخّرن أنفسهن في فضح تراتيب الصليبيين الأمنية واستعداداتهم العسكرية للجانب الإسلامي، بل تحذير أزواجهن أو أي من أقاربهن أو أصدقائهن من زجّ أنفسهم في أتون حرب مجهولة العواقب أو النتائج. وفي الوقت ذاته لا بد أن يكون هناك من النساء الأوروبيات من رفضن الاستسلام لكل المحاولات والإغراءات المادية التي تقود في النهاية إلى خيانة أبناء جلدتهن من الأوروبيين، فآثرن القتال في ساحات المعركة إلى جانب الجنود والفرسان الذي أدّى بكثير منهن إلى الوقوع في القيد والأسر وتحمّل كل أشكال وأساليب التعذيب في سبيل أن تبقى حماسة القوات الصليبية وسرّ تكتيكاتها العسكرية.

لقد كان لمثل هؤلاء النساء الأوروبيات دور لا يستهان به في الاستبسال في ميادين المقاومة والمواجهة في أثناء الحصار الذي ضربه الصليبيون حول مدينة عكا، والتي تعبّر عن حماستهنّ الشديدة ورغبتهن الجامحة في استرداد صورة المقاتل الأوروبي، الذي لا يقهر ، فبينما كان سكان المدينة المسلمون قد فرغوا من حفر الخنادق العميقة وإقامة التلال الترابية ظنّا منهم أنها قد تحميهم من الهجمات الصليبية وعواقبها، جهدت بعض النساء الأوروبيات إلى جانب الرجال مقاتلين وغير مقاتلين في جمع أكوام كبيرة من الأتربة والحجارة ثم ردمها في الخنادق المحيطة بالمدينة من أجل طمّها وتسويتها بالأرض، وفي أثناء ذلك، تعرّضت بعض النساء الأوروبيات لخطر الأسلحة التي كان يرمي بها المقاتلون المسلمون على الذين يشاركون في عمليات طم الخنادق وإزالة المتاريس التي تعيق عمليات اقتحام الصليبيين للمدينة، فقد ورد في بعض المصادر المتوافرة، أنه وبينما كانت إحدى النساء الأوروبيات تشارك في هذه المهمة، تلقت ضربة سهم قاتلة لم تستطع كل الإسعافات والعلاجات التي قدمت لها إنقاذها من الموت، والغريب في الأمر أنها أوصت زوجها قبل أن تفارق الحياة أن تدفن في الخندق الذي عملت على طمّه [62]، ذلك المكان الذي أعدته موقع تصدي ومقاومة. ولعل في وصيّتها هذه رسالة لكل النساء اللاتي اجتمعن من مختلف البلدان الأوروبية بوجوب الصمود والثبات

والرضا بالموت على الاستسلام للهزيمة أو الخضوع لكل إغراءات الجانب الإسلامي المادية بأشكالها وأنواعها كافة.

دور المرأة الأوروبية العسكري في الميدان البحري

وعلاوة على كل أشكال النضال والمقاومة، ابتداء بإسهاماتها المعنوية والمادية ثم عدم ترددها في أن تتدرب على أساليب التجسس على كل ما يحصل من تراتيب أمنية وخطط حربية في خيام المسلمين ومعسكراتهم، وتعريض حياتها لخطر الموت في أثناء عملها الشاق في طمّ الخنادق التي تعيق عمليات تحركات الصليبيين الحربية، فإن المرأة الأوروبية بلغت شأوا بعيدا حين لم تتوان على أن تواصل أغلى تضحياتها في المشاركة الفعلية في الميادين العسكرية البحرية منها والبرية في أثناء حصار مدينة عكا. ففي الجانب البحري كانت سفن القوات الصليبية، وفي مقدمتها السفن المعروفة بـ « البطسة « والتي قدرت حمولتها ما بين ثلاثمائة وسبعمائة مقاتل ترابط في عرض البحر [63] . ولا جدال أنّ مثل هذه الحروب تحتاج إلى نوع من المهارة والجرأة وخفة الحركة، ذلك ما تميزت به بعض النساء الأوروبيات اللاّتي استطعن مع غيرهن من المقاتلين من الترصد لأحد القوارب الإسلامية الذي كان يقوم بمهمة استطلاعية؛ إذ استطاع الصليبيون من محاصرته وحالوا دون تمكّن من على متنه من المقاتلين المسلمين من الفرار أو النجاة، فقبضوا عليهم جميعا [64]، وبلغت شدة انتقام النساء الأوروبيات اللاتي شاركن في هذه العملية التي أعدت بالنوعية، أن سارعن– كما تشير بعض المصادر التاريخية المتوافرة– إلى القبض عليهم من نواصيهم (أي مقدمة الرأس) ثم إقدامهنّ وبمعاملة لا تعرف الرحمة بالإمعان في تعذيب كل واحد من الأسرى قبل الموت باستخدام المدى والسكاكين بدلا من السيوف في قطع رؤوسهم وجزّ أعناقهم عن أجسادهم [65] .

ولا شك أنّ أسلوب التعذيب هذا الذي مارسته النساء المقاتلات من الأوروبيين بحق الأسرى البحريين المسلمين بطريقة بعيدة عن الرحمة أو الشفقة جاء ردّا وانتقاما على ما حلّ بأخواتهن الصليبيات اللاتي فقدن أناسا أعزاء عليهن– كما أشار الباحث آنفا– بعد معركة حطين التاريخية 1187م وما أعقبها من انهيار كيان كان قد كلّف الغرب الأوروبي الآلاف من أرواح خيرة الجنود والفرسان عدا عن المبالغ المالية الطائلة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يبدو أن شدة البطش هذه كانت ترمي إلى بث الخوف والذعر في نفوس المقاتلين المسلمين وتحذير السفن الإسلامية من محاولات اعتراض أي من السفن الصليبية، سواء التجارية منها او الحربية.

وفي حادثة أخرى من حوادث مقاومة الصليبيين البحرية التي تحدثت عنها بعض المصادر التاريخية المتوافرة، وصلت جرأة وشجاعة إحدى مجموعاتهم القتالية التي يعتقد فيها الباحث أن النساء الأوروبيات كنّ جزءا منها كما يفهم ممّا ورد عند المؤرخ ابن الأثير قوله عن الصليبيين في أثناء حصار عكا: " فحشروا وحشدوا حتى النساء، فإنهم كانوا معهم عدة من النساء " [66] أنّ سفنهم التي كانت ترابط على الدوام وتراقب السواحل الشامية والمصرية قد تمكنت عام 1190م من اعتراض أسطول تألف من خمسين سفينة بحرية قادمة من الديار المصرية وعلى متنه مساعدات عسكرية ضخمة للقوات الإسلامية بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولكن كل محاولات اعتراض هذا الأسطول ومصادرة حمولته قد باءت بالفشل [67]، الذي يعود– كما يبدو– إلى ضخامته وطوق الحراسة المشددة التي فرضت حوله في أثناء إبحاره، فضلا عن عيون المراقبة الأمنية السرية ودقة يقظتها.

دور المرأة الأوروبية العسكري في الميدان البري

عندما بدأت طلائع الجيوش الصليبية بالوصول إلى أسوار مدينة عكا، صاحبت النساء الأوروبيات الجنود والفرسان والقطاعات القتالية كافة في نصب الخيام والمعسكرات في المواقع التي اتفق الملوك والقادة العامون لهذه الجيوش وفي مقدمتهم الملك الألماني فردريك بربروسا Frideric Barbarossa والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion heart والملك الفرنسي فيليب أغسطس Philip Augustus على إقامتها استعدادا لتشديد الحصار على المدينة وإجبار سكانها المسلمين بقوة السيف على إخلائها. ولما أدرك السلطان صلاح الدين الأيوبي حجم الخطورة الذي باتت تشكله هذه المعسكرات على سكان عكا، وحفاظا على سلامتهم وثباتهم وعدم تسللهم خفية للهروب منها، كانت القوات الإسلامية ولإشغال المقاتلين الصليبيين تشنّ بصورة دائمة ومستمرة غاراتها على معسكراتهم التي لم تخل من النساء [68] الأوروبيات اللاّئي أخذن على أنفسهنّ عهدا كغيرهنّ من المقاتلين من الجنود والفرسان بـ " إحياء مجد الغرب الأوروبي " ففي إحدى الوقائع عام 1190م حول مدينة عكا والتي وصفت بأنها حامية الوطيس، تسلّل بعض فرسان وجنود المسلمين إلى عدد من خيام ومعسكرات الصليبيين، وبعد مواجهة عنيفة تمكنت القوة الإسلامية من أسر عدد من النساء الأوروبيات اللاّئي وقفن بصمود وعنفوان إلى جانب أقرانهن الصليبيين في التصدي ومحاولة رد الهجوم الإسلامي [69] .

لقد رأت المرأة الأوروبية أنّ من واجبها أن تتخندق في ميادين القتال، ليس كجندية مقاتلة، وإنما عزمت على أن تكون في مقدمة صفوف المقاتلين وتواجه خصمها كفارسة ترتدي زيّ الرجال، لا تخاف الموت ولا تخشى الأسر في ساحات المعارك والصدام. فقد جاء على لسان أحد المؤرخين المسلمين، وفي واحدة من المواجهات التي جرت خارج مدينة عكا 1189م أنّ بعض المقاتلين في الجانب الإسلامي شاهدوا ثلاث نساء من نساء الأوروبيين كل واحدة منهنّ تتصدى وتقاتل من على ظهور الخيول، ويبدو أنّ البطولة والشجاعة التي ظهرت على كل منها، هو ما حفّز الجانب الإسلامي على ترتيب خطة استندت إلى نصب كمين بمتابعة تحركاتهن وانشغالهن بالقتال، أدّى في النهاية إلى وقوع اثنتين منهما أسيرات حرب في السجون الإسلامية ومعتقلاتها [70] .

إنّ مهارة الفروسية التي اكتسبتها بعض النساء الأوروبيات، هو جزء من الدور القتالي الذي وصفته المصادر الغربية المتوافرة بأنّه " أمر مفروغ منه " قد شاركن فيها في الحملتين الصليبيتين الأولى والثالثة على الأراضي المقدسة، تلك المهارة التي يرى فيها الباحث وبخاصة امتطاء المرأة الأوروبية لظهور الخيل سواء اعتلائها في ميادين السباق أو للفروسية في جبهات القتال التي دارت حول مدينة عكا لا بدّ أنّها تلقت تدريباتها هذه قبل التفكير بالحملة الصليبية الثالثة بزمن بعيد، ومما يدعم هذا الرأي أنه ظهر في الغرب الأوروبي وبخاصة في فرنسا نوع من الخيول عرفت باسم " بيرشورون " [71] Perchoron تلك الخيول التي أعدت

من أبرز الأسلحة استخدمها الفرسان الصليبيون طيلة عامين في معاركهم وقتالهم ضد الجانب الإسلامي. وبلغت شدة إعجاب الفرسان المسلمين ودهشتهم بمهارة بعض النساء الأوروبيات في ميادين قتال الفروسية، بقولهم في شأنها: " وكان داخل سورهم امرأة عليها ملوطة [72] خضراء، فما زالت ترمينا بقوس من خشب حتى جرحت منّا جماعة، وتكاثرنا عليها وقتلناها، وأخذنا قوسها، وحملناها إلى السلطان؛ أي صلاح الدين الأيوبي، فعجب من ذلك عجبا عظيما. " [73]

ولا شكّ أنّ حديث المؤرخ عن اجتماع الفرسان المسلمين وتكاثرهم حول مثل هذه المرأة الأوروبية وهي ما زالت تقاتل بشجاعة ودون خوف من الأسر أو الإحساس برهبة الموت ومفارقة الحياة ما يشير بصورة لا تحتمل اللّبس إلى المهارات الفائقة والتدريبات الشاقة التي خاضتها هذه المرأة وغيرها قبل أن تبرز بطولاتها وقدراتها على دقة تصويب أهدافها في ساحات القتال والمواجهة.

خاتمة

يخلص الباحث إلى أنّ المرأة الأوروبية سواء تلك التي عاشت أو ولدت في الأراضي المقدسة في أثناء خضوعها للسيادة الصليبية أو تلك التي قدمت مع جموع الصليبيين الذين احتشدوا من كل حدب وصوب في حملة عرفت بالحملة الصليبية الثالثة قد أدت– كما يتجلى ذلك في بعض المصادر العربية والغربية المتوافرة– دورا يفوق الدور الذي قامت به في الحملة الصليبية الأولى، في محاولة منها إلى جانب الرجال فرسانا وجنودا تلبية استغاثة الصليبيين ونداءاتهم بعد الخسارة الكبيرة التي منيت بها الجيوش الصليبية في معركة حطين التاريخية 1187م، وتسببت في تشريد سكان المملكة الصليبية التي تحتضن قبر السيد المسيح (الضريح المقدس)، بعد (88) ثمان وثمانين عاما من الاستيطان والسيطرة والتنعم بخيرات البلاد، فهاموا على وجوههم، وانقطعت صلة الآباء والأمهات بأطفالهم وأبنائهم وأخواتهم، وفقدت المملكة خيرة رجالها وأسر مليكها والعديد من كبار أمرائها الذي لا بدّ أنه وقع على الغرب الأوروبي الذي لم يحسب لهذه الهزيمة وقع الصاعقة.

في هذه المرحلة الدقيقة وشديدة الحساسية، والتي دعا فيها ملوك الغرب الأوروبي إلى شد الرحال والسفر برا وبحرا لكسر القوة الإسلامية الصاعدة بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي، جاءت مشاركة المرأة الأوروبية التي وقفت إلى جانب الرجال بمختلف صور التحدي والمقاومة تعبيرا عن انزعاجها ورفضها لما حلّ بكيان رعى الأوروبيون بكل ما يملكونه من أجل تأسيسه واستمرار وجوده فوق تراب الأرض المقدسة. وبرزت صور تحديها في اشكال عدة، فمن ناحية نجد أنّ المرأة الأوروبية سواء النبيلة منها أم تلك التي تملك الثروات قد جادت بمالها إسهاما منها في تمويل الحملة الصليبية بالسلاح والعتاد. أما الأخريات ويقصد الباحث هنا عدداً غير قليل من الفقيرات اللاتي سارعن إلى بيع أملاكهنّ أو تشجيع أبنائهن على عدم التردد في الخروج مع جموع الصليبيين في هذه الحملة.

ولم يقف دور المرأة الأوروبية عند هذا الحد فحسب، بل وجدت أنّ من الواجب عليها أن تنال شرف القتال والمقاومة ومغامرة ركوب البحر وقطع المسافات الطويلة، ثم المساهمة بعد رسوّ السفن والمراكب في بناء الخيم والمعسكرات حول مدينة عكا التي اعتبرها الصليبيون مفتاح المدن الساحلية، وبين صفوف النساء الأوروبيات، ظهر منهنّ من وجدت في نفسها الكفاية للعمل في المجال الاستخباراتي والتجسس على استعدادات القوات الإسلامية، وأخريات امتلكن الخبرة والدراية في القتال البحري واختطاف بعض ربان السفن الحربية الإسلامية، فضلا عن مشاركتها الفعالة جندية وفارسة في المواجهة البرية، أملا في استعادة سلطة الغرب الأوروبي وهيبته على الأرض المقدسة.

إنّ النجاح الذي تحقق للصليبيين بمشاركة المرأة الفاعلة في الحملة الصليبية الثالثة وإن استثنيت المدينة المقدسة لا يمكن التقليل من شأنه، فبوجودهم في المنطقة الساحلية بموجب اتفاق الرملة 1192م الذي لم تطبق بنوده بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart استأثر الغرب الأوروبي بخيراتها الزراعية والتبادل التجاري سنين طويلة فاقت وجودهم في الأراضي المقدسة بعد النجاح الذي تحقق لهم في الحملة الصليبية الأولى.

ويمكن أن يجمل الباحث ما توصل إليه من نتائج بما يلي:

♦ أولاً: أن المرأة الأوروبية منذ بداية الحملات الصليبية لم تخف رغبتها في المشاركة إلى جانب الفرسان والجنود في المساهمة بتحقيق المشروع الصليبي بإنشاء كيان غريب في لغته وعاداته وقيمه وتقاليده في الأراضي المقدسة.

♦ ثانياً: مساهمة كثير من نساء الغرب الأوروبي في تمويل الحملات الصليبية، وبخاصة ما يتعلق هنا بالحملة الصليبية الثالثة، من خلال التنازل عن جزء كبير من ثرواتهن المالية، بل نجد أن بعض النساء الأوروبيات اللواتي كن يعانين مشكلة الفقر والعوز، قد وجدن الحل بمساهمتهن في تمويل هذه الحملة من خلال عرض بيوتهن المتواضعة للبيع.

♦ ثالثاً: تلقى كثير من النساء الأوروبيات التشجيع من قبل ملوك وأمراء الغرب الأوروبي للمشاركة في ميادين القتال المختلفة البرية منها والبحرية.

♦ رابعاً: دعوة كثير من النساء الأوروبيات أبناءهن إلى ترك زوجاتهم وأبنائهم ووطنهم من أجل استعادة الأرضي المقدسة ثانية من أيدي أصحابها الشرعيين.

♦ خامساً: لم تقف مساهمة المرأة الأوروبية بقتال المسلمين والتصدي لهم في جيوش نظامية فحسب، بل شاركت أيضاً في الحروب الخاطفة وحرب العصابات التي تسببت في إلحاق الخسائر والهزيمة في الجانب الإسلامي كما حصل في أثناء الحصار الذي فرضته قوات السلطان صلاح الدين الأيوبي حول مدينة صور في محاولة يائسة لاستردادها.

♦ سادسا: الحقد الدفين الذي ظهر من خلال ممارسة المرأة الصليبية بحق الأسرى المسلمين، بل وجثث القتلى منهم، باستخدام السكاكين الحادة في جز أعناقهم وتقطيعهم دون رحمة أو شفقة على الرغم من معاملة السلطان صلاح الدين الأيوبي الحسنة للنساء الصليبيات في أثناء تحرير الأراضي المقدسة عام 1187م.

التوثيق

1. أربان الثاني Urban II فرنسي الأصل، ولد حوالي 1042م من عائلة نبيلة، واسمه الحقيقي أودو دي لاجري Odo de Lagery، نال حظا وافرا من التعليم، إذ أرسل إلى المدرسة الكاتدرائية في ريمز Reims، ثم قرر بعد ذلك الانضمام إلى جماعة كلوني وصار راهباً، وأخذ يتدرج في المناصب الدينية حتى وصل إلى منصب البابوية عام 1088م. وكان حينئذ في السادسة والأربعين من عمره. عن ذلك ينظر: الشيخ، محمد محمد مرسي الشيخ. عصر الحروب الصليبية في الشرق، الإسكندرية، د. ط، 2001، ص92. سلامة، جلال. دور النساء الأوروبيات في الحملة الصليبية الأولى على الأرض المقدسة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ب (العلوم الإنسانية)، مج 28 (12)، 2014، ص 2733 – 2748

2. لمزيد من التفاصيل عن هذه الدعوة وتشكيل الحملة الصليبية الأولى حتى وصولها إلى أسوار المدينة المقدسة، ينظر: الشارتري، فوشيه Fulcher de Charters. تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، عمان، ط 1، 1990، ص31 – 37، 55 – 60. الصوري، وليم William of Tyre. الحروب الصليبية، ج 2، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1991، ص 40، 67، 81 – 82. ميخائيل زابوروف. الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1986، ص88 – 90)

3. الرهاوي المجهول. تاريخ الرهاوي عن الحملتين الأولى والثانية، نقلا عن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق وترجمة سهيل زكار، ج5، دار الفكر، دمشق 1995، ص21

Albert of Aachen. Historia Hierosolymitana R. H. C , Occ. tom IV, Paris, 1879, p. 365. Baldric of Dol. Historia Jerusalem , tansa , RHC , Oc. pp. 28 , 34 , 107

4. هافنسيس Havenses. تاريخ المورة، نفلا عن سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج 10، دمشق 1995، ص 375 376

5. الصوري، وليم William of Tyre. الحروب الصليبية، ج 2، 299 – 300. الفيتري، يعقوب. تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد عبدالله البيشاوي، دار الشروق، فلسطين، ط 1، 1998، ص18

6. Mclaughlin , M. , The Women Warrior: gender. Warfare and Society in medieval Europe , Women,s Studies an interdisciplinary Journal. 17 , pp. 193 – 209

سلامة، جلال. دور النساء الأوروبيات، ص 2733 –2748

7. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا، ج 2 نشر جمال الشيال، القاهرة، 1948 ص 25.، ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 5، القاهرة، 1963، ص53. أبو ميسر، أبو عبدالله محمد بن علي. أخبار مصر، تحقيق هنري ماسيه، القاهرة، 1919، ص 37.

8. سلامة، جلال. دور النساء الأوروبيات، ص 2733 – 2748

9. الصوري، وليم William of Tyre الحروب الصليبية، ج 2، ص 113

10. مجهول. أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس "الجستا"، ترجمة حسن حبشي، ص 117

11. الصوري وليم William of Tyre. المصدر نفسه، ص 113

12. المصدر نفسه، ج 2، ص 180. سلامة، جلال. المقاومة الشعبية في نابلس وريفها منذ الوجود الصليبي حتى عام 1187 م، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية غزة ، مج 21، عدد 2، 2013، ص 271 – 293

13. مجهول. أعمال الفرنجة، ص 114. الشارتري، فوشيه Fulcher de Chartres. تاريخ الحملة، ص 69 – 70، 108. سايولف. Saewulf. رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة، 1102 – 1103 م، ترجمة سعيد عبدالله البيشاوي، دار الشروق، عمان، ط 1، 1997م، ص 23

14. الشارتري، فوشيه Fulcher de Chartres المصدر نفسه، ص 81–82. الصوري، وليم William of Ttre. ج 1، ص 73 – 74

15. الصوري، وليم William of Tyre. المصدر نفسه، ج 2، ص 180. سلامة، جلال. المقاومة الشعبية، ص 271 – 293

16. عن الخلاف المذهبي العباسي الفاطمي ينظر: ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن محمد. تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للنشر، ط 1، دمشق، 1983، ص87 – 119 . ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، ج 9، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1987، ص301 – 307. ينظر أيضا: الشيخ، محمد محمد مرسي الشيخ، عصر الحروب الصليبية، ص100 – 105

17. الشارتري، فوشيه Fulcher de Chartres، المصدر نفسه، ص 112

18. لمزيد من التفاصيل عن الخسائر المادية والبشرية التي تكبدها الغرب الأوروبي حتى الاستيلاء على الأرض المقدسة، ينظر: ابن الأثير، ص 14، 19 الشارتري، فوشيه Fulcher de Chartres. المصدر نفسه، ص 81 – 82. الصوري، وليم William of Tyre. المصدر نفسه، ج 1، ص 73 – 74

19. عكا: تقع شمال فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وعرفت بأسماء عدة، منها أكو Akko أو Acco عن ذلك ينظر: الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، ج 7، دار الهدى، كفر قرع، 1991 م، ص 452

20. حيفا: مدينة تقع شمال فلسطين على قمة جبل الكرمل، يحدها من الشمال عكا ومن الشرق قضاء الناصرة وجنين. المرجع نفسه ج 7، ص452.

21. الشارتري، فوشيه Fulture de Chartres تاريخ الحملة إلى القدس، ص79 الصوري، وليم William of Tyre الحروب الصليبية، ج 2، ص317 – 319

cf also: J. prawer. The Settlemen of The Latins in Jerusalem , speculum , 27 , 1952 , pp. 490- 503

22. الشارتري، فوشيه. Fulche de Chartres تاريخ الحملة، ص103 – 111

23. يذكر أن المؤرخ الصليبي وليم الصوري William of Tyre كان قد ولد في فلسطين حوالي عام 1130 م، وشاركت أسرته الفرنسية الأصل في الحملة الصليبية الأولى. لمزيد من التفاصيل ينظر: الصوري، وليم. الحروب الصليبية، ج 1، ص299 – 300

La barge , M. W. A Small Sound of the Trumpet , Boston Press , 1986 , p. 173

24. الصوري، وليم William of Tyre. الحروب الصليبية، ج 2، ص 180.

سلامة، جلال . المقاومة الشعبية، ص 271 – 293

25. Albert d , Aix. Historia Hierosolymitana , ed: R. H. C – H. Occ , tom IV , pp. 256- 713

الشارتري، فوشيه Fulcher de Chartres تاريخ الحملة، ص 113 – 114، 131 سايولف Saewulf رحلة الحاج سايولف، ص42. الصوري، وليم William of Tyre المصدر نفسه، ج 2، ص 368

26. لمزيد من التفاصيل عن الحملة الصليبية الثالثة، ينظر: ابن شداد. النوادر السلطانية، ص144، 156 – 157 ابن الأثير. الكامل، ج 10، ص204 – 205

Ernoul. Le Chronique de Bernard le Tresorier Ed. Mas Latrie Paris , 1871, pp. 250 , 260. cf also Stevenson , W. B. , The Crusaders in East , Lebanon , Beirut , 1968 , p. 260 سلامة، جلال. عكا، ص103 – 109

27. Gies , Frances and Joseph. Women in the middle Ages , New York: Barnes and Noble , 1980 , cf WWW. umich. edu 2018- 10- 2

28. وقعت معركة حطين عام 1187م بين الجانبين الإسلامي والصليبي، وفيها تكبّد الصليبيون خسائر فادحة في الأرواح، وأسر ملكهم جاي دي لوزينان Guy de Luziginan، وخيرة أمرائهم وفرسانهم. لمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة التاريخية والفاصلة، ينظر: ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، شركة طبع الكتب العربية، القاهرة، 1899م، ص 60 – 63. ابن الأثير. الكامل، ج 10، ص 146 – 148. أبو شامه، شهاب الدين ن عبدالرحمن المقدسي. الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2002، ص 187 – 198

Ernoul. Le Chronique d , Ernoul , p. 130

29. مجهول. الحرب الصليبية الثالثة، ج 1، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ص 58

30. المصدر نفسه، ج 1 ، ص58

31. المصدر نفسه، ج 1 ص54

32. أبو شامة. الروضتين، ج 3، ص192

33. عن هذا اللجوء ينظر: العماد الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن محمد. الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية، القاهرة ، 1965، ص 154. ابن الأثير. الكامل. ج 10، ص 157، 159 سلامة، جلال. عكا في أثناء الحملة الصليبية الثالثة، دار الفاروق، نابلس، ط 1، 1998، ص 72.

Painter , Sidney. The third Crusade: Richard the Lion Heart and Philip Augustus in Setton , vol II , London , 1969 , p. 46

34. ابن الأثير. الكامل، ج 10، ص 159 – 160

Helen Nicholson , David Nicollo. God,s Warriors: Knights Templar , Saracens and the Battle for Jerusalem , pp. 185- 210

35. الرهاوي المجهول. روايات، ج 5، ص 425. مجهول. الحرب الصليبية الثالثة، ج1، 45 – 46

36. خسرو، ناصر. سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1970، ص 50

37. هو ابن الملك الإيطالي وليم دي مونتيفرات William de Montferat الذي وقع أسيرا في معركة حطين. عن ذلك ينظر: ابن الأثير. الكامل، ج 10، ص146. أبو شامة. الروضتين، ج 2، ص 90. مجهول. الحملة الصليبية الثالثة، ج 1، ص 39 – 40

Michaud , J. , The History of the Crusades , vol I , New York , 1881 , p. 451

38. ابن العبري، غريغوريوس بن هارون بن توما الملطي. تاريخ مختصر الدول، نقلا عن. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق وترجمة سهيل زكار، ج 5، دار الفكر، دمشق، 1995، ص 316

39. ابن الأثير. الكامل، ج 10، ص160 – 161. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج 2، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الكتب المصرية، ص 209. أبو شامة. الروضتين، ج 3، ص267 – 278 مجهول. الحملة الصليبية الثالثة، ج 1، ص44 – 45

40. العماد الأصفهاني. الفتح القسي، ص 159. ابن الأثير. المصدر نفسه، ج 10، ص161. ينظر أيضا: حسين، محسن محمد. مسؤولية صلاح الدين في فشل حصار صور، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد 26، مج 7، 1987، ص 29 – 52

41. ابن العبري. تاريخ مختصر الدول. نقلا عن. الموسوعة الشامية، ج 5، ص425

42. مجهول. الحملة الصليبية الثالثة، ج 1، ص115

43. المصدر نفسه، ج 1، ص182

44. المصدر نفسه، ج 1، ص115

45. المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

46. يقصد هنا الحملة الصليبية الثالثة.

47. Gies , F. and Gies , J. , Women in the middle ages , pp. 149 , 168

48. صقلية: بالإيطالية تلفظ سيشيليا Sicilia وهي أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط وتتمتع بحكم ذاتي، وخلال معظم تاريخها احتات صقلية موقعا استراتيجيا لأهميتها في طرق التجارة المتوسطية، ووصفت هذه الجزيرة في العالم القديم بأنها من أعظم المدن الموجودة تحت الحكم اليوناني. عن ذلك ينظر: إديوري، بيتر و. قبرص والحروب الصليبية، دار الملتقى للطباعة والنشر، قبرص ليماسول، ط 1، 1997، ص14 – 15.

https: ll ar. wikipedia 2019/ 1/ 6

تشير الروايات أن جوانا Joana كانت زوجة الملك وليم الثاني William II كان من جملة ما ورثته حوالي (20000) عشرين ألف أونصة من الذهب. عن ذلك ينظر: مجهول. الحرب الصليبية الثالثة، ص218

Flori , Jean. Richard Coeur de Lion Le roi – chevalier, Paris , 1999 , p. 124 – 126

49. الصوري، وليم William of Tyre. ذيل تاريخ وليم الصوري، ص100، 218 – 219، 221 222، 227

50. نافارا بالإسبانية Navarra منطقة تقع شمال إسبانيا، يحدها من الشمال

فرنسا ومن الجنوب منطقة لاريوخا Larukha ومن الشرق والجنوب الشرقي منطقة أراغون ومن الغرب منطقة إقليم الباسك، وتبلغ مساحتها حوالي 10391 كم^2. عن ذلك ينظر: بني ياسين، يوسف أحمد. بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية (دراسة مقارنة)، مركز زايد للتراث والتاريخ العين الإمارات، ط 1، 2004 م، ص507

51. مجهول. الحرب الصليبية الثالثة، ج 3، ص224 – 227

52. ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج 10، ص184

53. هافنسيس Havenses. تاريخ المورة، ج 10، ص377

54. مجهول. الحرب الصليبية الثالثة، ج 1، ص73

55. هافنسيس Havenses. المصدر نفسه، ج 10، ص377

56. العماد الأصفهاني. الفتح القسي، ص137

57. مجهول. الحملة الصليبية الثالثة، ج 3، ص221 – 222. وعن ذلك ينظر: أبو شامة. الروضتين، ج 2، ص149. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي، البداية والنهاية، ج 12، تحقيق أحمد ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1987، ص356 – 357

58. السوري الكبير، السوري. تاريخ ميخائيل الكبير، نقلا عن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق وترجمة سهيل زكار، ج 5، دار الفكر دمشق، 1995، ص304 – 305

59. الزيات، حبيب. احتيال الملوك الأيوبيين في رشوة النساء الفرنجيات لتجسس الصليبيين، مجلة المشرق، عدد 36، بيروت، 1938 ص53 – 56

60. الملك العادل: 1145 – 1218 محمد بن أيوب بن شادي أبو بكر الملقب بالعادل، أخو السلطان صلاح الدين، وهو من كبار سلاطين الدولة الأيوبية، وكان نائب السلطنة بمصر عن أخيه صلاح الدين في أثناء غيابته بالشام، وتنقل في الولايات إلى أن استقلّ بملك الديار المصرية 1200 م، ثم الديار الشامية، ولما صفا له جو الملك قسّم البلاد بين أبنائه. عن ذلك ينظر: الزركلي، خير الدين. الأعلام قاموس تراجم، ج 6، دار العلم للملايين، بيروت، ط 5، 1980، ص47

61. زيات، حبيب. احتيال الملوك الأيوبيين، ص53 – 56

62. مجهول. الحرب الصليبية الثالثة، ج 1، ص137 – 138

63. البطسة أو البطشة: تشير بعض المصادر أنّ هذه الكلمة مأخوذة عن الإسبانية ومعناها "السفينة الكبيرة"، وتعني بالإيطالية Nave وبالفرنسية Nef، وهي سفينة كبيرة تستخدم في نقل المحاربين والذخيرة والأزواد. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج 2 تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، 1953 – 1960، ص305. النخيلي، درويش. السفن الإسلامية على حروف المعجم، دار المعارف، الإسكندرية، ط 2، 1997، ص14 – 17

64. مجهول. الحملة الصليبية الثالثة، ج 1، ص114 – 115

65. المصدر نفسه، ج 1، ص114 – 115

66. ابن الأثير. الكامل، ج 10، ص183

67. العماد الأصفهاني. الفتح القسي، ص335. أبو شامة، الروضتين، ج 2، ص148

cf. also: Helen Nicholson. Women on the Third Crusade , pp. 335- 349

68. ابن شداد. النوادر السلطانية، ص130

69. المصدر نفسه، ص130.

70. المصدر نفسه، ص129 – 130

71. سميت بهذا الاسم نسبة إلى مقاطعة بيرش Perch الفرنسية، وامتازت هذه الخيول التي أكثر الفرنسيون من استخدامها بالنشاط والذكاء وسهولة القيادة، كما أن تربيتها لا تتطلب أموالا كثيرة، عن ذلك ينظر: قطاية، سلمان. الخيل أثناء الحروب الصليبية، مجلة المورد، مج 20، عدد 1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1992، ص21 – 25. سلامة، جلال. عكا، ص109، هامش 4

72. ملوطة: رداء واسع الكمين، طويل، كان يصنع أحيانا من الحرير الخالص أو الكتان الرقيق، ويسمى في عصرنا (روب دي شمبر) أي الثوب الملتف. عن ذلك ينظر: زناتي، أنور محمود. معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة عين شمس، ط 1، 2011، ص379. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي نقلا عن:

www. hurras. org 2018/ 1 1/ 21

73. ابن شداد. النوادر السلطانية، ص167.

مصادر ومراجع الدراسة العربية والمعرّبة

أولا: المصادر العربية والمعربة

مجهول

– أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس الجستا ، ترجمة حسن حبشي، د. ط، د. ت

مجهول

– الحرب الصليبية الثالثة، جزءان، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، 10 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987

ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 12 ج، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1963

خسرو، ناصر

– سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، 1970

الرهاوي المجهول

– تاريخ الرهاوي، نقلا عن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج 5، تحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق 1995

سايولف Saewulf

– رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة 1102 – 1103 م، ترجمة سعيد عبدالله البيشاوي، دار الشروق، عمان، ط 1، 1997

– السوري الكبير، ميخائيل السرياني

– تاريخ ميخائيل الكبير، نقلا عن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق وترجمة سهيل زكار، ج 5، دار الفكر، دمشق، 1995

الشارتري، فوشيه Fulcher de Chartres

تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، عمان، ط 1، 1990

أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن المقدسي

– الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 5 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002 م

ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع

– النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، شركة طبع الكتب العربية، القاهرة 1899م

الصوري، وليم William of Tyre

– الحروب الصليبية، 4 أجزاء، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1991م

العماد الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن محمد

– الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية، القاهرة 1965م

الفيتري، يعقوب Jaqus de Vitrus

– تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد عبدالله البيشاوي، دار الشروق، فلسطين، ط 1، 1998

ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن محمد

– تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للنشر، دمشق، ط 1، 1983

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي

– البداية والنهاية، 12 جزء، تحقيق أحمد ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1987

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي

– اتعاظ الحنفا بذكر الفاطميين الخلفا، 3 أجزاء، ج 1، ج 2 نشر جمال الشيال، القاهرة 1948م، ج 3 نشر محمد حلمي أحمد، القاهرة 1973م

هافنسيس Havenses

– تاريخ المورة، نقلا عن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق وترجمة سهيل زكار، ج 10، دار الفكر، دمشق 1995م

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم

– مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جزءان، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، 1953 – 1960

ثانيا: المصادر غير المعربة

Albert of Aachen

- Historia Hierosolymitana R. H. C – Occ tom IV, Paris , 1879

- Baldric of Dol. Historia Jerusalem , tansa , R. H. C ,H. OC,tome, IV Paris, 1879,pp4- 111

- Eracles. Estoire d'Eracles Empereur et de Conquest de la Terre d'outre mer Ed. R. H. C- H Occ. tom. II, (Paris,1859)

- Ernoul. Le Chronique d, Ernoul de Bernard Le Tresorier , ed. Mas Latrie , Paris , 1871

ثالثا: المراجع العربية والمعربة

إديوري، بيتر.

– قبرص والحروب الصليبية، دار الملتقى للطباعة والنشر، ليماسول، ط 1، 1997

بني ياسين، يوسف أحمد

– بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية، (دراسة مقارنة)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين الإمارات، ط 1، 2004

الدباغ، مصطفى مراد

– بلادنا فلسطين، 11 ج، دار الهدى، كفرقرع، 1991

زابوروف، ميخائيل

– الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1986

الزركلي، خيرالدين

– الأعلام قاموس تراجم، ج 6، دار العلم للملايين، بيروت، ط 5، 1980

زناتي، أنور محمود

– معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة عين شمس، ط 1، 2011

سلامة، جلال حسني

– عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، دار الفاروق، نابلس، ط 1، 1998

الشيخ، محمد محمد مرسي

– عصر الحروب الصليبية في الشرق، الإسكندرية، 2001

رابعا: المراجع غير المعربة

Flori , Jean.

- Richard Coeur de Lion Le roi – chevalier , Paris , 1999

Gies , Frances and Joseph.

Women in the middle Ages , New York: Berns and Noble , 1980

La barge, M. W.

- A Small Sound of the Trumpet , Boston Press , 1986

خامسا: المقالات والأبحاث العربية

زيات، حبيب

– احتيال الملوك الأيوبيين في رشوة النساء الفرنجيات للتجسس على الصليبيين، مجلة المشرق، عدد 36، بيروت، 1938، ص53 56

سلامة، جلال حسني

– المقاومة الشعبية في نابلس وريفها منذ الوجود الصليبي حتى عام 1187 م، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، غزة، مج 21، عدد 2، 2013، ص271 – 293

– دور النساء الأوروبيات في الحملة الصليبية الأولى، على الأرض المقدسة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ب (العلوم الإنسانية)، مج 28 (12)، 2014، ص2733 – 2748

قطاية، سلمان

– الخيل أثناء الحروب الصليبية، مجلة المورد، مج 20، عدد 1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1992

النخيلي، درويش

– السفن الإسلامية على حروف المعجم، دار المعارف، الإسكندرية، ط 2، 1997، ص14 – 17

سادسا: المقالات والأبحاث غير المعربة

Helen Nicholson , David Nicolo

- God,s Warriors: Knights Templer , Saracens and the Battle for Jerusalem , pp. 185 – 210

J. Prawer

- The Settlement of The Latin In Jerusalem , speculum , 27 , 1952 , 490 _ 503

Mclaughlin , M. , The Women Warrior: gender , Warfare and Society in medieval Europe , Women,s Studies an interdisciplinary Journal , 17 , pp. 193 – 209

Painter , Sidney

- The third Crusade , Richard the Lion Heart and Philip Augustus in Setton , vol II , London , 1969

سابعا: مواقع الإنترنت

1. *https:/ ar. wikipedia Sicilia 2019/ 1/ 6*
2. *www. hurras. org 2018/ 11/ 21*
3. *www. umich. edu. 2018/ 10/ 2*
4. *https:/ ar. wikipedia. org/ wiki Navara 2019/ 1/ 6*